

وثائق دولية

كلمة لوزير الخارجية الأميركي، كولن باول، أمام مؤتمر إيباك يشرح فيها نهج الإدارة الأميركية تجاه الوضع الفلسطيني. الإسرائيلي واشنطن، 2001/3/19. * [مقتطفات]

[.....]

وقد ورثت هذه الحكومة (الأميركية) وضعاً في الشرق الأوسط صارت فرص السلام فيه قاتمة بصورة دراماتيكية في ظل ما يبدو بأنها دوامة لا نهاية لها من العنف، وانهايار تام تقريباً في الثقة المتبادلة والأمل اللذين كانا قد ترسّخا في الأعوام الأخيرة. فقد حل الرصاص والقنابل مكان الكلام كما حل مكان المساعي الهادئة لتعزيز التفاهم المتبادل التحريض والكلام الرنان المؤلم. وباتت المفاوضات في حال معطلة.

وليس في نيتي هذا اليوم أن أصرف وقتي هنا للتظهير حيال كيف بلغنا هذه النقطة أو الإيحاء بما كان يمكن أو كان ينبغي أن ينجز من قبل طرف أو آخر في أي منعطف معين.

لكن ما هو واضح أن الأثر على الإسرائيليين جراء فشل مفاوضات كامب ديفيد وما تلا ذلك من استمرار أعمال العنف لم يكن شيئاً يمكن اعتباره أقل من شيء مأسوي. فقد جرح المئات وقتل العشرات. وجراء كل من هذه الخسائر (في الأرواح) تنتحب العائلات وجراء كل من هذه الخسائر يقضى على حلم. والشعور بالأمن الشخصي صار أضعف بكثير وعانى الاقتصاد بصورة ملحوظة.

كما أن الأثر كان مأسوياً على الفلسطينيين. فقد جرح الآلاف ومات المئات. وبسبب كل من هذه الخسائر في الأرواح تنتحب عوائل، ويتم القضاء على حلم. وبات الاقتصاد الفلسطيني محطماً إذ قفزت البطالة وغاب النمو. وقد عطلت إجراءات الإغلاق الداخلي والخارجي الحركة الطبيعية.

وكانت النتيجة الصافية أن الإسرائيليين صاروا يشككون في إمكانية التوصل إلى ترتيبات سلمية مع الفلسطينيين وبات الفلسطينيون يشككون في ما إذا كان التعايش السلمي مع إسرائيل يتوافق مع تطلعاتهم السياسية الخاصة.

ونحن علينا ألاّ نسمح بأن تكون الردود على هذه التساؤلات سلبية. ولا يجب أن نسمح لحلم السلام بأن يهلك. فسيكون ذلك بمثابة كارثة للمنطقة.

وليست لديّ صيغة سحرية، كما لا يمكنني أن أستطيع بمجرد حركة أصبع أن أعكس مسار الوضع الراهن. لكن ما يمكنني أن أقوم به هو طرح الأفكار الأساسية التي يسترشد بها نهج الولايات المتحدة في عهد الرئيس بوش حيال الشرق الأوسط والنزاع الإسرائيلي. الفلسطيني بالذات. أي حفنة أفكار نرى بأنها تسهم في فرص السلام. أولاً والأهم، يجب أن تتوقف أعمال العنف.

فالعنف يسهم في تآكل كل شيء تأمل الأطراف في المنطقة أن تحققه. والعنف يوهن الرفاه النفسي لكل طفل ووالد وجد. والعنف يجعل الحياة غير مأمونة. والعنف يدفع ردود الفعل المسلحة، لا الحل الوسط. وعلى القادة تقع مسؤولية شجب العنف، وتجريده من مشروعيته، ووقفه. فالعنف هو بمثابة طريق مسدود.

ثانياً، الوضع القائم مرتفع الثمن وإذا سمح له بالانحراف فإنه لن يقود سوى لمأساة أفظع. والوضع الراهن لا يخدم مصالح لا الإسرائيليين ولا الفلسطينيين. والجانبان بحاجة لحوار يقود إلى ترتيبات سياسية واقتصادية وأمنية تكون مقبولة من قبل الجانبين، أكانت تلك مؤقتة أو دائمة، جزئية أو كاملة.

ثالثاً، إن الطرفين نفسيهما يملكان مفاتيح مستقبلهما بالذات. فالسلام سيكون قريب المنال فقط حينما تكون لزعيمي (الطرفين) الشجاعة والرؤيا لاتخاذ قرارات عسيرة والدفاع عنها أمام جمهوريهما.

* المصدر: <http://usinfo.state.gov/admin/000/monmsw.bin>

ويجب تجنب الإجراءات الأحادية الجانب المؤكد بأنها ستستفز الجانب الآخر. إن توجه أحد الطرفين إلى الولايات المتحدة أو لأطراف خارجية للضغط على الطرف الآخر أو لفرض تسوية ليس هو الحل. والتداول بشأن قرارات جديدة للأمم المتحدة. وإصدارها. من غير المرجح أن يسهما بشيء. وفي نهاية المطاف، لا بديل للأخذ والعطاء الذي تنطوي عليه المفاوضات المباشرة. والسلام هو مجهود متعاون. وفي نهاية الأمر، سيكون الإسرائيليون والفلسطينيون إمّا شركاء أو خصوماً. رابعاً، لدى الطرفين مصلحة في استعادة الحياة الاقتصادية الطبيعية. وهما بحاجة لأن يعملوا لإعادة بناء مستوى الثقة التي كانت قائمة. وعلى كل من الطرف الإسرائيلي والفلسطيني أن يتخذ خطوات لبناء الثقة الواحد مع الآخر، ولتوفير الواحد للآخر أدلة يمكن للزعماء أن يثيروا إليها من أجل تبرير حلولهم الوسط. خامساً، إن الولايات المتحدة تقف جاهزة للمساعدة وليس للإصرار. وأكرر هنا أن الطرفين فقط يمكنهما أن يقررا وتيرة أية مفاوضات ونطاقها ومحتواها. وكل طرف مدرك خير إدراك لما يثمنه الطرف الآخر بصورة أعز. وكل جانب يعلم خير علم ما يخشاه الجانب الآخر بأعمق صورة ممكنة. والتقدم سيتأتى فقط إذا صارت البيانات والمسالك تعكس هذه المعرفة. وهنا، للتاريخ عبرتان مفيدتان لتلقيّننا. لدى الإسرائيليين والفلسطينيين القدرة على صنع السلام. والسلام الذي يتوصل إليه الطرفان نفسهما طوعاً من المرجح أن يكون أكثر جأشاً وقدرة على مقاومة الضغوط والنكسات التي لا مفر منها منه لسلام يعتبر على نطاق كبير بأنه صنع. بل أسوأ من ذلك، فرض. من قبل آخرين.

بيد أن الولايات المتحدة ستبقى متعاطية. ولا نية لدينا بتجاهل مسؤولياتنا أو إغفال الدور الذي مارسناه في الماضي.

وحقيقة الأمر أنه ليس بمقدورنا أن ندير ظهرا إلى هذا الجزء من العالم حتى لو أردنا ذلك. فهناك مصالح أميركية على المحك. وللولايات المتحدة مصلحة حيوية في أمن إسرائيل. وهناك كذلك مصالح اقتصادية واستراتيجية حيوية في المنطقة. والأميركيون مهتمون، بل مهتمون جداً، بالخسائر في الأرواح نتيجة للعنف. ونحن نفهم فهماً جيداً أن هذه المصالح والاهتمامات ستلبى بالصورة الأمثل من خلال سلام يتقبله الإسرائيليون والفلسطينيون كلاهم.

ولهذه الأسباب فإن الولايات المتحدة لن تكون صامتة. وسنرفع صوتنا إذا سمعنا كلاماً أو شاهداً أفعالاً تسهم في المواجهة أو تنال من وعد المفاوضات. ونحن لن نسعى جاهدين من أجل نوع اعتباطي من الموقف الحيادي حينما لا تكون المسؤولية متشاطرة بصورة متكافئة (عن عمل نريد انتقاده).

ولدول في المنطقة وما وراءها دور لتلعبه في إشاعة الاستقرار في هذه البيئة للإسرائيليين والفلسطينيين. وأصوات هذه الدول الأخرى يجب أن تكون أصواتاً معتدلة وتدعو إلى البراغماتية والواقعية وتوفر الدعم للمواقف التي يتخذها رجال الدول. كما أنه من المهم أن تضارع كلامها بالأفعال. وأنا أشير مثلاً إلى أنه لا يوجد لدى أية دولة عربية سفير مقيم في إسرائيل وهذا أمر يؤسف له جداً.

إن تشديدي اليوم على إسرائيل والفلسطينيين لا يعني انعدام الاهتمام لمجالات أخرى للدبلوماسية. بل على عكس ذلك، فإن الولايات المتحدة تواصل دعم سلام شامل في الشرق الأوسط مبني على قراري مجلس الأمن 242 و338 وصيغة الأرض مقابل السلام. ونحن نأمل جداً أن تجد إسرائيل وسورية، وإسرائيل ولبنان، وسيلة مقبولة من قبل الطرفين لاستئناف المحادثات على هذين المسارين.

في غضون ذلك، إننا نحث بقوة. وحثنا بقوة. كل الأطراف في مناطق الحدود المتوترة التي تحاذي إسرائيل ولبنان وسورية أن تمارس أقصى قدر من ضبط النفس وأن تتفادي أية نشاطات استفزازية أو مزعزعة للاستقرار. وقرار إسرائيل الانسحاب من جنوب لبنان إنما يوجد فرصة كبيرة لإشاعة الاستقرار لا يجوز إهدارها.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx